رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

طواغيت (٤)

الوثنية هي الصوفية[١]

مراتب التوحيد عند الصوفية:

مما قدمناه يتبين لنا أن أحب الذكر عند الصوفية هو الاسم المفرد، وقد بينا أيضًا أن هذا بدعة نفث بها الشيطان في روع أوليائه من الإنس: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١].

وتبين لنا أن زعماءهم يبغضون «لا إله إلا الله»، وأنهم يبدلونها بالكلمة الكافرة: ليس إلا الله. فلماذا؟

فلنذكر مراتب التوحيد عند الصوفية لنفهم لماذا هم يبغضون «لا إله إلا الله».

المرتبة الأولىٰ: مرتبة من يقولون: لا إله إلا الله هي درجة عامة الناس ممن لا يضيفون الألوهية إلا إلىٰ الله، وتلك هي المرتبة التي يستعيذ منها العارفون من الصوفية، وأقربهم ابن بشيش إذ يقول: (وانشلني من أوحال التوحيد وأغرقني في عين بحر الوحدة)؛ لأن من يكون في هذا المقام لا يعرف الحقيقة، بل يكون في مقام الفرق، وعندهم أسمىٰ ما يوده الصوفي هو مقام الجمع وهو الشهود أو جمع الجمع، وهو الاستهلاك بالكلية في عين الوحدة وهو المرتبة الأحدية، والدردير في منظومته للأسماء الحسنىٰ يقول: (وجد لي بجمع الجمع منك تفضلًا)، فكلهم صغيرهم وكبيرهم سابقهم ولاحقهم يبرأ أن يقف عند مرتبة لا إله إلا الله.

---

[١] (١٢ / ١٣٦٦هـ).

المرتبة الثانية: من يقولون: لا هو إلا هو، وهؤلاء ينفون عن «الهو» الإلهي كل أنواع «الهو»...

أعني أنه لا أحد غيره هو يقدر علىٰ أن يسميه «هو» لأن كل «هو» يصدر عنه ويشتق منه... ولعل القراء علىٰ ذكر من كلمة البكري(١): (يا هو يا من لا هو إلا هو)، وعندهم هذه المرتبة أعلىٰ من سابقتها، فما من موجود يتصف بالوجود غير «هو» الذي عندهم هو إلههم، غير أن أرباب هذه المرتبة ينظرون إلىٰ الإله من حيث كونه غائبًا، فهم إذًا غير واصلين إلىٰ القمة العظمىٰ من حقيقة المعرفة.

المرتبة الثالثة: مرتبة من يقولون: لا أنت إلا أنت، وتلك مرتبة أسمىٰ من سابقتها؛ لأن أولئك ينظرون إليه من حيث كونه غائبًا تفيض هويته في كل هوية، أما هؤلاء فينظرون إليه من حيث كونه حاضرًا تتجلىٰ ذاتيته في كل ذات هي من دونه عدمية، فلا «أنت» موجودة إلا بهو وهو هو ربهم.

المرتبة الرابعة: في المرتبة السابقة كان ثم مخاطب وخطاب ومخاطب، ففيها مسافة إذًا، فيها فرق، فيها إشعار بالثنائية ونوع من الغيرية، ففيها عند الصوفية شرك، فصاحبها يشعر بأنه غير من يخاطبه، وما دام الإنسان شاعرًا بأنه «غير» فهو مشرك؛ لهذا كانت الصيغة التي يتم بها التوحيد عندهم، أو بمعنىٰ أدق تكون بها حقيقة التوحيد الصوفي هي «لا أنا إلا أنا».

إلا أن هذه الصيغ كلها في الحقيقة تعد حجبًا بين الصوفي وبين الحقيقة الكبرىٰ،

---

(١) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن خلف البكري الصوفي، ولد بسلا بالمغرب سنة (٥٨١هـ) ونشأ بمراكش، واستوطن الفيوم من مصر، وبها توفي سنة (٦٤١هـ). [انظر: الإبريز (٢٤١)]. (ض).

والسالك الحقيقي هو من يغرق كل هذه الصيغ «هو، أنت، أنا» في بحر الفناء، هنالك تسقط الأوامر والنواهي وتسقط كل إشارة، فما من مشير ولا مشار إليه وإنما هنا حقيقة واحدة.

ومنهم من يبقىٰ بهذه السكرة حتىٰ الموت كأحمد البدوي(١)، ومنهم من يرد إلىٰ الصحو عند قيامه بأمور الخلق كالدسوقي(٢)، ويقول سيدهم محمد بن وفا:

وبعد الفنا في الله كن كيفما تشا فعلمك لا جهل وفعلك لا وزر(٣)

إخال، بل أوقن أن أخي القارئ في غير حاجة إلىٰ أن أدله علىٰ حمأة الشرك وردغة الكفر في هذا التوحيد الذي تنتهي هاويته إلىٰ المساواة المطلقة والوحدة التامة بين الوجودين الوجود الإلهي والوجود الإنساني، بين الخالق وخلقه، بين الرب وعبيده، تنتهي إلىٰ الإيمان بأن هذا الوجود الحسي إنما هو بجزئياته تعينات للذات الإلهية، تنتهي إلىٰ إنكار بل إلىٰ الكفر بحقيقة كل دين سماوي؛ لأن روحانية الدين قائمة علىٰ أساس علاقة قوية بين عابد ومعبود، وعند الصوفية في نهايتهم لا عابد ولا معبود، ولا شاهد ولا مشهود، وإنما الحقيقة الكبرىٰ للمرتبة الأحدية، أو أحدية العين كما يعبرون.

---

(١) ص(١٢١) شخصيات قلقة في الإسلام للدكتور عبد الرحمن بدوي.

(٢) شرح منظومة أسماء الله الحسنىٰ ص(١١٣) لأحمد الصاوي الخلوتي.

قلت (محمد): هو أحمد بن علي الحسيني البدوي، صوفي ولد بفاس بالمغرب، وطاف البلاد واستقر في مصر بطنطا ودفن هناك سنة (٦٧٥هـ). معجم المؤلفين (١/ ٣١٤). (ض).

(٣) ص(٢٩) الأسرار الربانية علىٰ الصلوات الدرديرية لأحمد الصاوي الخلوتي.

ومن هنا نفهم سر ادعاء طواغيتهم أن التكاليف ساقطة عنهم؛ لأنهم بلغوا مرتبة العرفان، أي جمع الجمع التي تستهلك كل الصفات والأسماء، أو بمعنىٰ أصرح مرتبة صيرورتهم الله، ولن يكلف الله نفسه!!...

التوحيد عند ابن عطاء الله السكندري(١):

بعض الأغرار من الصوفية ينكر مثل هذا ويزعم أننا نتجني عليهم؛ لهذا الغرير المسكين الذي يضلله أكلة السحت.

أقول: اقرأ أيها المسكين، اقرأ وسيروعك أنك كنت تستلهم الشرك حقيقة التوحيد، وتستوحي الكفر روحية الإيمان، وأنك كنت تتمثل الإله في كل محس ومشهود.

تعال نقرأ معًا ما سطر لك أربابك ممن يزعمون أنهم بالأذواق والمواجيد عرفوا الحقيقة الإلهية فآمنوا أن أول مجلىٰ لها تعينت فيه هو الحقيقة الإنسانية الكبرىٰ.

لن نذهب إلىٰ «ابن عربي» ولا إلىٰ «الحلاج» وإن كانا هما التصوف والصوفية وهما الإله والألوهية، والرب والربوبية عند زعمائك يا مسكين.

تعال معي إلىٰ رجل منكم تستظهرون حكمه، وتجعلون آياته حكمًا بينكم كلما غم أمر علىٰ السالكين؟

إنه ابن عطاء الله السكندري، إنه رجل موصوف عندكم بالاعتدال، وقف علىٰ البداية يرسل الطرف خفية إلىٰ النهاية، إنه كانت تنقصه الغمرة، أو هو لم يعرف

---

(١) عطاء الله السكندري: هو أحمد بن محمد بن عبد الكريم، أبو الفضل، شاذلي الطريقة، صحب أبا العباس المرسي، كان من أشد خصوم شيخ الإسلام ابن تيمية، له عدة تصانيف منها: الحكم العطائية، توفي سنة (٧٠٩هـ). [انظر: البداية والنهاية (١٤/ ٤٧)]. (ض).

السكرة، إن له كتابًا اسمه: «القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد» وفيه يقول:

(أهل التوحيد أربعة أصناف في ذكر توحيدهم الواحد، الصنف الأول قالوا: لا إله إلا الله بين النفي والإثبات... والصنف الثاني قالوا: الله... والصنف الثالث قالوا: «هو هو» الصنف الرابع خرسوا فلم ينطقوا، وفنوا به عنهم وغابوا علىٰ ذكر التوحيد بمشاهدة المذكور الواحد، فكان ذكر توحيدهم عيانًا لا لسانًا)(١) وكيف يا ابن عطاء؟ اسمع إليه وهو يقرر رأيه:

(إذا اتسع الصدر بعلم الإيمان وانشرح بنور اليقين صار كرسيًّا وسع علمه ظاهر عالم الملك وباطن عالم الملكوت(٢) في ذاته وفي غيره... وإذا امتلأ القلب بالتوحيد كان عرشيًّا وتنزهت عن أوصاف البشرية ذاته، وشرفت في الملإ الأعلىٰ صفاته وعلت وسمت في الملإ الأسفل معرفته، وتصير الأسماء الحسنىٰ وصفه وصفته، وصار محققًا مستبصرًا فانيًا في شهود المذكور عن ذكره.

أرأيت إلىٰ ابن عطاء! أوعيت ضلالته وجهالته؟

أتفهم كلمة الكرسي والعرش وصيرورة الأسماء الحسنىٰ وصفًا وصفة للعبد؟

ماذا يريد هذا الذي تزعمون أنه معتدل في السلوك الصوفي كل الاعتدال؟

إنه كغيره غير أنه حذر في التعبير، إنه يريد أن يقول: إن نهاية النهايات أن يصير العبد ربًّا!

---

(١) ص(٥٧) طه محمود توفيق.

(٢) عالم الملك عند الصوفية عالم الشهادة من المحسوسات كالعرش والكرسي وعالم الملكوت هو عالم الغيب المختص بالأرواح والنفوس. «التعريفات للجرجاني».

هل تلوت بإمعان ما نقلته لك من كتابه وما اخترته لك إلا لكونه موصوفًا بعدم الغلو والإيغال في الطريق.

والآن اسمع قول رجل متطرف في المسيحية ماذا يقول عن تأويلات الصوفية للقرآن وعما فهمه في حقيقة الله من القرآن: (ليس من السهل لدىٰ صوفية الإسلام أن يعثروا في القرآن علىٰ فكر المذهب الصوفي، وأن يستشهدوا بالكتاب المقدس علىٰ نظرتهم في الدين وفي العالم؛ لأنه من الصعب تصور فكرة دينية يضاد بعضها بعضًا وراء الإسلام الأول والمذهب الصوفي، فهناك في الإسلام (الفهم المعقول للانفصال التام لله عن العالم. وهنا في المذهب الصوفي اعتقاد حلول الله في العالم)(١).

مسيحي(٢) يقرر الحقيقة التي وجدها عن تدبر في القرآن، وابن عطاء يقرر أن في القرآن ضلالة المسيحية أو خرافة البرهمية(٣).

إن هذا المسيحي كان يتمنىٰ أن لو وجد في القرآن عن الله ما يشبه عقيدة النصارىٰ والمسيح ليؤيد به دينه، ولكنه رجل يحترم عقله ويسمو به أن يوصف بالبله؛ لأن بساطة العقيدة الإسلامية في القرآن ويسر إدراكها وسهولة فهمها تجعل كل ذي فكر يؤمن بما آمن به هذا المسيحي، وهو أن القرآن فيه «الفهم المعقول للانفصال التام لله عن العالم».

---

(١) ص(١٨٠) من كتاب «الاتجاهات الإسلامية في تفسير القرآن» لجولدزيهر نقلًا عن كتاب الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي لأستاذنا الكبير الدكتور محمد البهي.

(٢) جولدزيهر المستشرق اليهودي المتعصب، مجرىٰ الأصل، هلك سنة (١٣٤٠م). (ض).

(٣) وهي الديانة الهندوسية، وهي ديانة وثنية تنتشر في الهند. (ض).

ولكن الصوفية أنفسهم يحاربون العقل وأربابه، ويسمونهم المحجوبين ويفرون من الحجج الدامغة والبراهين القاطعة إلىٰ أسطورة «الذوق»، فيقولون: نحن قوم لا نستمد من قرآن ولا فكر وإنما من الذوق (ومن ذاق عرف).

* * *

طواغيت (٥)

الوثنية هي الصوفية(١)

إن هؤلاء الصوفية يحقرون المؤمنين الطائعين العاملين بكتاب الله وسنة نبيه الكريم، فيسمونهم أهل الرسوم أو أهل الحجاب، بل سماهم بعضهم مجوسًا (سأل الواسطي(٢) أصحاب أبي عثمان: بماذا كان يأمركم شيخكم؟

فقالوا: كان يأمرنا بالتزام الطاعات ورؤية التقصير فيها...

قال «أي الواسطي»: «أمركم بالمجوسية المحضة!!) لأن العارف عندهم (هو الذي غاب عن الإشارة والمشير والمشار به، فإذا وقعت منه إشارة لا يشهدها ولا يشعر بها لكون المشير والمشار إليه هو الله تعالىٰ؛ لأن العارف في مقام الجمع)(٣)..

الشرقاوي وابن عطاء يتظاهران - الأول في مكر وحذر والثاني في صراحة وفخر - علىٰ أن نهاية السالك أن يكون هو الله، فإذا تكلم كان الله هو المتكلم علىٰ لسانه!! كما يقول يوسف العجمي(٤): أي إله هذا الذي له ملايين الألسنة؟

---

(١) (١/ ١٣٦٧/١).

(٢) هو أبو بكر محمد بن موسىٰ الواسطي، أحد أصحاب الجنيد والنوري، وأحد المشاركين في وضع الكثير من أصول التصوف. مات سنة (٣٢٠هـ). انظر حلية الأولياء (١٠/ ٣٤٩). (ض).

(٣) (٣٧، ٤٦) من شرح الشرقاوي لحكم ابن عطاء الله السكندري طبعة ١٩٧٧.

(٤) يوسف العجمي الكوراني، صوفي كثير الأتباع، هاجر من أرض العجم إلىٰ مصر فأحيا طريقة الجنيد في التصوف بعد اندراسها كما يقول الشعراني. مات سنة (٧٦٨)هـ. انظر الطبقات الكبرىٰ (٢/ ٥٩). (ض).

وملايين الأحذية؟ وملايين البطون الجائعة؟ إنه إله الصوفية... أترضىٰ أن يكون إلهك ممن يحسون ذل الجوع وغلة الظمإ وشهوة الدم الفاجر العربيد؟

لقد وصف الصوفية إلههم بهذا (بعث الرسول ليتمم أخلاق الله فكذب وشتم وأوذي وجاع وظمئ ومرض واستقرض، وكل ذلك وارد في حق الله تعالىٰ فانطبق اسم الله علىٰ محمد بالكمال والتمام)، (ينسحب علىٰ الوجود الإلهي السخرية والظمأ والمرض والجوع والنسيان)⁽¹⁾ فأنا لم أغال حين ذكرت لك أيها المسكين ما ذكرت. وإنما أشرت لك إشارة عابرة إلىٰ شرك زعمائك بل إلىٰ زندقتهم التي هي الزندقة في أوقح معانيها.

أيجوع الله؟ أيمرض؟ أينسىٰ؟ ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ۝٨١﴾ [الشعراء: ٧٨-٨١]، ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ۝٥٢﴾ [طه: ٥٢]، ألا يخيل إليك أن آيات الذكر الحكيم إنما ترد علىٰ أولئك الكفرة الفجرة؟؟

التوحيد عند الدردير⁽²⁾:

وتعالىٰ اقرأ معي ما يقوله الدردير في منظومته لأسماء الله الحسنىٰ، تلك المنظومة

---

(١) ص(١٦، ٣٣٨) من كتاب النفحات الأقدسية في شرح الصلوات الأحمدية الإدريسية ط/ ١٣١٤، لمحمد بهاء الدين البيطار خادم الطريقة الرشيدية الأحمدية.

(٢) هو أحمد بن أحمد بن حامد العدوي المالكي الأزهري الخلوتي، ولد سنة (١١٢٧هـ)، له العديد من المؤلفات في المذهب المالكي، منها: شرح مختصر خليل، أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك، وله المنظومة الشهيرة المسماة بمنظومة الدردير في أسماء الله الحسنىٰ، كان صوفيًّا، توفي سنة (١٧٨٦هـ). [انظر: تاريخ الجبرتي (٢/ ٢٢٣ – ٢٢٥)].(ض).

التي جعلها أكثر الناس قرآنهم، وما من عروس تزف في الريف إلا ويستأجر لها بعض الصوفية يرتلونها في موكب العرس، وأجرهم علىٰ ذلك إتخام البطون.

يقول الدردير: (وجد لي بجمع الجمع) ولن أشرح لك جمع الجمع من عندي بل سأنقل إليك شرحه من أربابك وطواغيتك الصوفية. جمع الجمع هو المرتبة الأحدية كما عرفه الجرجاني، والمرتبة الأحدية هي الذات الإلهية بلا صفات ولا أسماء أو الجمع هو ما أسقط التفرقة وقطع الإشارة فما بالك بجمع الجمع الذي يسمونه طرف بحر التوحيد(١)، فالدردير إذًا يطلب الوصول إلىٰ النهاية العظمىٰ إلىٰ أن يكون وجوده الإنساني هو الوجود الإلهي ويطلب أن تكون له المرتبة الأحدية التي يفنىٰ فيها الكون والكائن.

التوحيد عند الهروي(٢):

وتعال اقرأ معي ما يقوله الهروي في كتابه منازل السائرين عن التوحيد:

(التوحيد على ثلاثة أوجه(٣):

---

(١) ص (٥٠) منازل السائرين للهروي، ط صبيح.

(٢) هو عبد الله بن محمد بن علي الهروي الأنصاري، أبو إسماعيل، كان يدعىٰ شيخ الإسلام، وكان إمام أهل السنة في هراة، ويُسمىٰ خطيب العجم لتبحر علمه وفصاحته، له تصانيف منها: منازل السائرين، وذم الكلام، توفي سنة (٤٨١هـ). [انظر: طبقات الحنابلة (٢/ ٢٤٧-٢٤٨)، الذيل علىٰ طبقات الحنابلة لابن رجب (١/ ٥٠-٦٨)، الأعلام (٤/ ٢٧٦)]. (ض).

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن وقوع الهروي في القول بالحلول وتأثره بأهل البدع: «وأما أبو إسماعيل الأنصاري - صاحب منازل السائرين -: فليس في كلامه شيء من الحلول العام، لكن في كلامه شيء من الحلول الخاص في حق العبد العارف الواصل إلىٰ ما سماه هو: مقام التوحيد» اهـ. [شرح حديث النزول (صـ٢٣٥)].

=

١- توحيد العامة: وهو شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد.

٢- توحيد الخاصة: وهو إسقاط الأسباب الظاهرة والصعود عن منازعات العقول وعن التعلق بالشواهد، هذا توحيد الخاصة الذي يصح بعلم الفناء ويصفو في علم الجمع ويجذب إلىٰ توحيد أرباب الجمع.

وأما الثالث: فهو توحيد اختصه الحق لنفسه وإليه قصد أهل التعظيم وإياه عنىٰ المتكلمون في عين الجمع. وقد قلت فيه:

ما وحد الواحد من واحد إذ كل من وحده جاحد
توحيد من ينطق عن نعته عارية أبطلها الواحد[1]
توحيده إياه توحيده ونعت من ينعته لاحد[2]

يريد الهروي أن يقول: إن العارف في مرتبته العظمىٰ يجب عليه أن لا يتكلم بالتوحيد؛ لأنه يقتضي حينئذ الثنائية، بينما المتكلم حقيقة هو الله والمتكلم عنه هو

=

والحلول الخاص، كما حكىٰ الإمام عن قولهم: «أنهم يقولون: إذا أراد الله أن يحدث أمرًا دخل في بعض خلقه فتكلم علىٰ لسانه، وقد رأيت من هؤلاء غير واحد ممن خاطبني وتكلم معي في هذا المذهب وبينتُ له فساده». اهـ (بيان التلبيس (٥/ ١٧٠). (ض).

(١) هكذا: «عارية أبطلها الواحد» في (صـ٩٨/ جـ٢) من مجموعة الرسائل الكبرىٰ، أما في كتاب منازل السائرين للهروي فهي: «عبارة أبطلها الواحد» ونقل ابن تيمية أصح؛ لأنه هو المتوائم مع نظرة الصوفية وتعبيراتهم.

(٢) (٥٢) منازل السائرين، للهروي.

الله، تلك هي الحقيقة العظمىٰ للتوحيد عندهم: أن تعتقد أنك أنت هو وهو أنت؛ لهذا يعبرون دائمًا بهذه الكلمة التي تخفي السم الناقع: (ما وحد الواحد غير الواحد). فلفظ الواحد الأول هو الذات الإلهية المجردة، ولفظ الواحد الثاني هو الذات الإلهية المتعينة إنسانًا.

فالإنسان هو الله فإذا وحد فإنما يوحد نفسه «ما وحد الواحد غير الواحد» تسمعها من كثير يتخايلون بها عليك، ويزعمون أنهم بها عارفون واصلون إلىٰ مقام الحقيقة المحمدية التي كانت أول من تعين للذات الإلهية، والتي هي اسم الله الأعظم عندهم⁽١⁾.

التوحيد عند الغزالي:

ولعلك الآن قد ضاق صدرك بما يقولون، وتحب أن تعرف أيها المريد الغرير عقيدة الغزالي، فلعله يكون قد هدم هذا الكفر كما قام ليهدم الفلسفة بزعمه، وما هدمها بل أخذ يشنع عليها.

يقول الغزالي: للتوحيد أربع مراتب:

١- من يقول لا إله إلا الله وقلبه غافل أو منكر.

٢- أن يصدق بمعنىٰ اللفظ قلبه.

٣- أن يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق وهو مقام المقربين، وذلك بأن يرىٰ أشياء كثيرة ولكن يراها علىٰ كثرتها صادرة عن الواحد القهار.

٤- أن لا يرىٰ في الوجود إلا واحدًا وهي مشاهدة الصديقين وتسميه

---

(١) التعريفات للجرجاني، تحت المادة.

الصوفية «تأمل!!» الفناء في التوحيد؛ لأنه من حيث لا يرىٰ إلا واحدًا فلا يرىٰ نفسه أيضًا، وإذا لم ير نفسه لكونه مستغرقًا بالتوحيد كان فانيًا عن نفسه في توحيده بمعنىٰ أنه فني عن رؤية نفسه والخلق).

ثم يقول معلقًا علىٰ هذه المراتب: (والرابع موحد بمعنىٰ أنه لم يحضر في شهوده غير الواحد، فلا يرىٰ الكل من حيث أنه كثير له من حيث أنه واحد).

ثم يقول ما نصه: (فإن قلت: كيف يتصور ألا يشاهد إلا واحدًا وهو يشاهد السماء والأرض وسائر الأجسام المحسوسة وهي كثيرة، فكيف يكون الكثير واحدًا؟ فاعلم أن هذه غاية علوم المكاشفات وأسرار هذا العلم لا يجوز أن تسطر في كتاب، فقد قال العارفون: إفشاء سر الربوبية كفر).

ثم يضرب الغزالي مثالًا يبين لنا به كيف يكون الكثير واحدًا، فيقول: (كم من شخص يشاهد إنسانًا ولا يخطر بباله كثرة أمعائه وعروقه وأطرافه وتفصيل روحه وجسده وأعضائه... فكذلك كل ما في الوجود من الخالق والمخلوق - تأمل هذه الجملة - له اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة فهو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد. وباعتبارات أخر سواء كثير، ومثاله الإنسان).

ثم يقول: (وهذه المشاهدة التي لا يظهر فيها إلا الواحد الحق تارة تدوم وتارة تطرأ كالبرق الخاطف وهو الأكثر، والدوام نادر عزيز، وإلىٰ هذا أشار الحسين بن منصور الحلاج(١) حيث رأىٰ الخواص يدور في الأسفار فقال: فيماذا أنت؟

---

(١) **منصور الحلاج:** هو الحسين بن منصور الحلاج، أبو مغيث، كان جده مجوسيًا، نشأ بواسط وقيل بتستر، صحب سهل بن عبد الله التستري، وصحب ببغداد الجنيد ظهر أمره سنة ٢٩٩هـ =

فقال: أدور في الأسفار لأصحح حالتي في التوكل.

فقال الحلاج: قد أفنيت عمرك في عمران باطنك، فأين الفناء في التوحيد؟

فكأن الخواص كان في تصحيح المقام الثالث في التوحيد، فطالبه بالمقام الرابع. فهذه مقامات الموحدين)(١).

ويقول: (ومن أهل المرتبة الرابعة القطب والأوتاد والبدلاء، ومن الثالثة: النقباء والنجباء والشهداء والصالحون)(٢).

ويوجب الغزالي علىٰ صاحب هذا المقام أنه (يفنىٰ عن الشهود، فإن القلب إذا التفت إلىٰ الشهود وإلىٰ نفسه بأنه مشاهد فقد غفل عن المشهود)(٣).

ويقول عن السالك الذي بلغ مرتبة اليقين: (هو محل سماع الوحي علىٰ الدوام وموضع الملائكة، وكفىٰ بها أنها الحضرة الربوبية)(٤).

=

وكان يظهر مذهب الشيعة للخلفاء العباسيين، ومذهب الصوفية للعامة، وكان يرىٰ مذهب الحلولية، له شطحات وتلبيسات علىٰ الناس كان يوهمهم بها أنه ربهم.

قتل وصلب لست بقين من ذي القعدة سنة ٣٠٩هـ.

قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية: (بل اتفقت الأمة علىٰ أنه إما مخطئ، وإما فاسق، وإما كافر، ومن قال: إنه مصيب في جميع الأقوال المأثورة عنه، فهو ضال، بل كافر بإجماع المسلمين». [الاستقامة (١/ ١١٦)]، وللمزيد من ترجمته انظر: السير (١٤/ ٣١٣-٣٥٤)، الفرق بين الفرق (١٥٧-١٥٩)، الأعلام (٢/ ٢٨٥-٢٨٦). (ض).

(١) ج (١٣) من كتاب إحياء العلوم، للغزالي، ط/ لجنة نشر الثقافة الإسلامية ص(١٥٨) إلىٰ ص (١٦٣).

(٢) ص(٣٩) من كتاب الإملاء في آخر كتاب الإحياء. (٣) ج (٦) من الإحياء ص (١٧٥).

(٤) ص(٤٥) من كتاب الإملاء بآخر كتاب الإحياء.

أطلت علىٰ القارئ حتىٰ أمللته في ذكر هذه النصوص من كتاب الإحياء، ولكن عذرنا يبدو في أن لهذا الكتاب وصاحبه من الخطر عند نفوس العامة بل والعلماء الكبار ما ليس لكتاب آخر، بل كثيرًا ما أرىٰ البعض يخضع الآية من القرآن بتأويل فاسد حتىٰ يصحح بها معنىٰ ذكر في الإحياء، إذ هو لا يجرؤ علىٰ تخطئة كلمة في الإحياء، بل في مرة ذهبت أناقش واحدًا من هؤلاء في كلمة من كتب الغزالي في أنها خطأ، فراح يبذل الجهد الجهيد في سبيل إثبات صحتها، فجئته بمختار الصحاح، فقال: المختار مخطئ. وفي النهاية أريته في آخر الكتاب أن الكلمة مصوبة وأنها خطأ مطبعي، فقال: «آي معلهش»... لهذا أكثرنا من نقل النصوص وهي صريحة مفصحة جد الإفصاح عن أن الغزالي ممن يؤمنون بوحدة الشهود إن لم يكن بوحدة الوجود.

بل تعطينا النصوص أنه يؤمن بفكرة الاتحاد، ثم ما معنىٰ استشهاده بالحلاج والخواص وأن الحلاج طالبه بالمقام الرابع؟ أليس في هذا الاستشهاد ما يفصح عن طوية الغزالي وهو أنه يدين بعقيدة الحلاج، والحلاج كان يقول: (أنا الحق)(١).

* * *

---

(١) ومن شعره:

أدعوك بل أنت تدعوني فهل ... ناديت إياك أم ناجيت إياي

يا كل كلي ويا سمعي ويا بصري ... يا جملتي وتباعيضي وأجزائي

[ديوان الحلاج ص (٨٢)، ت د: كامل الشيبي، ط. دار الآفاق العربية، بغداد ١٤٠٤هـ]. (ض).

طواغيت (٦)

الوثنية هي الصوفية(١)

وما معنىٰ أن المقام الرابع لا يمكنه الإفصاح عنه لأنه إفشاء لسر الربوبية وإفشاء سر الربوبية كفر؟

إن الغزالي بين أمرين: إما أن يكون مؤمنًا بأن القرآن علمنا حقيقة التوحيد وأن رسول الله ﷺ كان موحدًا، بل هو الموحد الأول، وإما أن لا يكون مؤمنًا بهذا.

فعلىٰ الأول يكون القرآن - غفرانك يا رب - فيه كفر وأن محمدًا - وعفوك يا مولاي -؟!

لأن القرآن ذكر حقيقة التوحيد التي ليس وراءها حقيقة أخرىٰ للتوحيد أبدًا، والغزالي يقول: إن المقام الرابع للتوحيد فيه إفشاء لسر الربوبية وإفشاؤه كفر...

والغزالي مؤمن بأن القرآن حق ويقين - كما يدعي - فلا ريب أن فيه المقام الرابع من التوحيد كزعمه، فيكون قد أفشىٰ سر الربوبية فيكون...؟

ومحمد ﷺ هو الموحد الأول فإما أن يكون قد بين لنا حقيقة التوحيد الكبرىٰ أو لا، فإن كان قد بينها فقد أفشىٰ سر الربوبية، ومفشي سر الربوبية عند الغزالي كافر، وإن لم يكن قد بينها ثبت أنه خان رسالة ربه أو بدل رسالة ربه، والله يقول في القرآن: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣]، ويقول: ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ٤٤ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ٤٥ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ٤٦ فَمَا مِنكُم

---

(١) (٢ / ١٣٦٧هـ).

مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٧].

فبربك نبئني أي معنىٰ للضلال وراء هذا؟

إن الغزالي عند قومه عظيم، ولكن عندنا الحق أعظم منه، ونحن لا نعبد أصنامًا، ولا نتخذ من الأحبار والرهبان أربابًا، وإنما نعبد الله الحي القيوم.

ومن هو القطب، ومن هم الأوتاد الذين هم في المقام الرابع من التوحيد عند الغزالي؟ ومن هم النجباء والنقباء؟ اصغ إلي بالله يا من تؤمن بالغزالي وعقيدته وتخضع كتاب الله لآرائه وسفسطته.

القطب عند الصوفية والغزالي:

هو الواحد الذي هو موضع نظر الله في كل زمان، وهو يسري في الكون وأعيانه الباطنة سريان الروح في الجسد، بيده قسطاس الفيض الأعم، وهو يفيض روح الحياة علىٰ الكون الأعلىٰ والأسفل... وقد يسمىٰ غوثًا باعتبار التجاء الملهوف إليه... إذن يؤمن الغزالي بأن هناك غير الله يفيض الحياة وهناك من منه وبه الحياة.

ومن يلجأ إليه ويستغيث به الملهوف غير الله؟ هذه واحدة.

والأبدال هم سبعة، ومن سافر من القوم عن موضعه وترك جسدًا علىٰ صورته حتىٰ لا يعرف أحد أنه فقد، فذلك هو البدل لا غير، وهم علىٰ قلب إبراهيم إذن يؤمن الغزالي بالتناسخ، وبأن في مقدرة الإنسان الخلق؟! وهذه ثانية.

وأما الأوتاد فأربعة يحفظ الله بهم الجهات الأربع، ويدفع بهم المكاره عن الأرض والبلايا عن الناس، وبهم يرزقون ويمطرون... إذن يؤمن الغزالي بهذا؟! وتلك ثالثة.

والنجباء هم الأربعون، وهم المشغولون بحمل أثقال الخلق، وهي من حيث الجملة كل حادث لا تفي القوة البشرية بحمله، ولا يتصرفون إلا في حق الغير.

والنقباء هم الذين تحققوا بالاسم الباطن فأشرفوا علىٰ بواطن الناس فاستخرجوا خفايا الضمائر لانكشاف الستائر لهم عن وجوه السرائر، وهم ثلثمائة(١).

والغزالي يؤمن بهذا، وهذه رابعة وخامسة.

وإني إلىٰ المفكر العدل أحتكم، ألا تكفي واحدة منها في أن تطيح بالإيمان والتوحيد؟!

هذا هو التوحيد عند الغزالي وهو رجل زعموا له أنه أقام التصوف علىٰ أسس قويمة من الشريعة المطهرة!!

وها أنت رأيت معي أن توحيده في قرار سحيق من الشرك، وشتان ما بين توحيده وتوحيد الإسلام، ولست أدري لم غفل الباحثون عن هذه النصوص؟

فما قرأت لمن كتبوا عن الغزالي أنه من أرباب وحدة الشهود. ما السر؟

إنها مكانة الغزالي في نفوس العامة، ولكن يرحم الله ابن تيمية إنه كان قويًّا في الحق وأشد قوة من غيره، فنعت الغزالي في بعض كتبه ببعض صفاته وكان يحذر منه ومن كتبه.

أنبعد عن الحق إذا أكدنا أن الصوفية صغارهم وكبارهم، عامتهم وخاصتهم لا يعرفون حقيقة التوحيد، إن لم نقل: إنهم يعرفونها ويعملون علىٰ هدمها، وأنهم أبعد ما يكونون عن التوحيد؟ وأن الغزالي نفسه في كتابه الإحياء خرف وضلل وصدف عن الحق في حقيقة التوحيد؟ هذا ما وعيناه وفهمناه علىٰ ضوء من القرآن

---

(١) كتاب التعريفات للجرجاني، والرسالة الملحقة به عن الاصطلاحات الصوفية الواردة في الفتوحات المكية، وكتاب مشتهىٰ الخارف الجاني في رد زلقات التيجاني الجاني للشنقيطي.

الكريم، فليدافع عن الغزالي من يتخذ الأحبار والرهبان أربابًا من دون الله، فيجعل له القيمة الكبرىٰ في تاريخ التصوف بل في تاريخ الإسلام؛ ليدافع من شاء.

فالإحياء حجة علىٰ الغزالي تدمغه، والإحياء برهان علىٰ أن الغزالي كان أبعد ما يكون عن حقيقة التوحيد في الإسلام. وهذه نصوصه تؤيدنا فيما نذهب إليه. فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب: ٦٤-٦٨].

هذا حديث من يقلد في دينه ويمشي علىٰ غير هدىٰ الله ورسوله. اللهم إن الهدىٰ هداك والأمر أمرك ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

* * *

طواغيت (٧)

الوثنية هي الصوفية(١)

كلمة عن حقوق التوحيد:

كل دين سماوي، بل كل علم أشاع فيه الحق نوره، بل كل نفس لم تفسد فطرتها، الكل يقرر ويؤمن أن الله هو وحده المعبود؛ لأنه الخالق الأعظم رب الوجود وفاطره، أرحم الراحمين، وكل إنسان وإن أزاغه الكفر وذهب بهداه الهوىٰ والتقليد أنه يؤمن أن رب الوجود واحد بيده الملك وهو علىٰ كل شيء قدير.

فتش في مجاهل التاريخ، ودع فكرك بإشراقه يتألق في غيوب ماضي الإنسانية السحيق، فستدرك أن البشرية في هداها وضلالها، في إيمانها وكفرها، في توحيدها وشركها؛ كانت تؤمن بربوبية الله، وأنه هو رب الوجود وخالقه ومدبره ورازقه وحده ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ﴾ [لقمان: ٢٥].

وإن أحط عهد في تاريخ الاعتقاد هو تقديس الأوثان، ورغم ذلك كانوا يؤمنون بربوبية الله أكثر من إيمان الكثير من الناس في عصرنا الحاضر، بل إن المشركين من عباد الصنم كانوا يوحدون الله إذا تألمت بهم ضائقة ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ۝٦٥﴾ [العنكبوت: ٦٥]، يعني كما تفيد الآية مخلصين له الدعاء إذا وقعوا في شدة، فإذا كشفها عنهم أشركوا معه في الدعاء أولياءهم، وهذا شركهم.

---

(١) (٣/ ١٣٦٧هـ).

واليوم يفزع الناس أول ما يفزعون إلىٰ ما هو شر من الأوثان، إلىٰ حجارة شوهاء صماء، وخشب نحتوه بأيديهم، ثم هو يشكو وطأة السوس!!

ما أضل عقلك أيها المشرك!! تعبد إلهًا لا يرحم السوس ضعفه ولا ذلته!!

قلنا: إن الإنسانية في جميع مراحلها لم تجهل ربوبية الله يومًا ولا جهلت أنه هو وحده رب الوجود؛ لذلك قيل: إن أعظم دليل علىٰ وجود الله هو الشعور الوجداني القوي بأنه تعالىٰ موجود.

ولكن ما هي صفات الله؟ وما هو الواجب لله؟

تجيب روح فتشرق منها حقيقة الإيمان الصافية، وتجيب أخرىٰ فترين عليها ظلمة الشرك الساجية.. ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦] جمعت مع الإيمان الشرك؛ لأنهم يدينون بربوبية الله، وهذا هو الإيمان ولكنهم لا يفقهون الواجب الحق لله، ولا يجعلون ما لله لله وهنا الشرك، فالآية تقرر أن الإيمان بربوبية الله فحسب ليس هو حقيقة الدين ولا الإسلام، بل أن توحد الله في العبادة توحيدًا منزهًا خالصًا.

توحيد العبادة:

ملاك الأمر وحقيقة الإسلام، والرسل ما جاءوا ليقولوا إن الله هو رب الموجود، بل ليقولوا إن الله هو المعبود وحده، جاءوا ليقرروا الواجب المقدس لله علىٰ الخلق، ولتقرير ما هي الصفات التي يجب أن يوصف بها الله، وكل ذلك في كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»... والتوحيد سهل يسير إدراكه، وسورتان في القرآن ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ [الإخلاص: ١] و ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾﴾ [الكافرون: ١] تغمران روحك بأنوار التوحيد، وما الشرك إلا طارئ علىٰ الفطرة

ليس من جبلتها ولا هو من سننها الخلقي.

وإنما أوحت به طواغيت جعلت أنفسها نوابًا عن الله ووسطاء بين الله وعباده، لا لشيء إلا ليتخموا بالسحت بطونهم التي لن تشبع إلا في الجحيم.

التوحيد أصل والشرك بدعة، التوحيد سبيل سوي، والشرك شعاب ودروب في التيه آخره هاوية، التوحيد حقيقة واحدة لا أجزاء لها، أولها آخرها ومظهرها مخبرها، فلا تفاوت بين النفوس في التوحيد، وإنما في التقوىٰ والعمل.

ليس للتوحيد مراتب كما يقولون، فالتشاغل عنه همسة خاطر أو نبسة شفة شرك.

فلا وسط بين الضدين فإما توحيد وإما شرك ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس: ٣٢].

وها هو التوحيد: اعتقاد أنه تعالىٰ بائن عن خلقه ليس كمثله شيء، ووصفه بما وصف الله به نفسه في القرآن، وعلىٰ لسان عبده ورسوله محمد عليه الصلاة والسلام دون تأويل أو تمثيل أو تعطيل، وإخلاص كل عبادة له وحده، وأن لا يعبد الله إلا بما أحب وشرع.

فبالأول: ننفي زيغ الصوفية وضلالهم في اعتقادهم أن الله هو الوجود العيني، أو أن الله حال فيه، أو أن غاية التوحيد الاتحاد بالله.

وبالثاني: ننفي زيغ المجردين والمشبهين.

وبالثالث: ننفي الشرك في الدعاء والعبادة، ونؤمن بأن الاتجاه بأي نوع من أنواع العبادة لغير الله شرك بالله، فما هي العبادة الواجبة؟

يقول المشركون: إنها الصلوات الخمس والحج والزكاة والصوم فقط، فما داموا يصلون لله ويحجون لله ويزكون لله فهم موحدون بزعمهم، ونسي هؤلاء بل

تناسوا - تضليلًا - أن روح العبادة هو الدعاء، إن المشركين أنفسهم كانوا يفعلون مثلهم ولا يفهمون أنهم مشركون ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ٢٣﴾ [الأنعام: ٢٣]، ولكن الله دمغهم بالشرك لأنهم كانوا يدعون غير الله، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [الأعراف: ١٩٤]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ﴾ [الحج: ٧٣] فالله يقول لهم: هؤلاء عباد مثلكم، فقراء إلىٰ الله والله هو الغني الحميد.

ومن الجهل بل من العناد أن تسأل فقيرًا مثلك، عبدًا مثلك لا يملك من أمرك شيئًا.

ويقول لهم: إن دعاء غير الله شرك، ولهذا سوىٰ القرآن بين مفهوم العبادة ومفهوم الدعاء في قوله: ﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [غافر: ٦٦] لماذا لم يقل «تعبدون»؟ ليفيد - والعلم لله - أن الدعاء هو العبادة كما حدثنا رسوله الكريم.

يقول المشركون مجادلة بالباطل: إن عباد الأصنام كانوا يعبدونها، أما نحن فندعو أو نتوسل، فهل الدعاء مثل العبادة؟

تلك حجتهم وهي داحضة؛ لأن الدعاء فيه شعور بأن من تدعوه أعظم منك وبيده ما تريده، فهل غفران الذنوب بيد الأولياء؟ هل شفاء المرضىٰ بيد الأولياء؟ هل النجاح في الامتحان بيد الأولياء؟

بل يا قوم، هل من شيء إلا وهو بيد الله وحده؟

لهذا قيل: إن الالتفات إلىٰ الأسباب شرك، هل يجيب المشركون أو سيزيغون كما زاغ قوم إبراهيم، فقالوا: ﴿قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٣]؟

ألا فاقرءوا يا هؤلاء قول الله عن إبراهيم: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ

وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾﴾ [مريم: ٤٨-٤٩]. تأملوا بالنظرة الحرة الرشيدة، لماذا عبر أولًا بقوله: ﴿تَدْعُونَ﴾، ثم عبر بقوله: ﴿يَعْبُدُونَ﴾ [مريم:٤٩]؟

أليس في هذا الحجة القاطعة علىٰ أن الدعاء عبادة بل هو العبادة؟

أرأيتم كيف كافأ الله إبراهيم في الدنيا جزاء تجنبه المشركين وشركهم؟ أفلا تبصرون!

وأقولها باختصار للمتصوفة وغيرهم: إن التوسل إلىٰ الله بغير طاعته وأسمائه وصفاته شرك ويدخل تحت الغير هنا كل بشر مهما علا مقداره، والنذر لغير الله شرك ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ﴾ [النحل: ٥٦]. أليست الجاهلية هي هي بعينها الآن؟ والذبح لغير الله شرك: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣] والنسك هو الذبح وإطعام الطعام والاجتماعات، وتخصيص الأيام والليالي وغيرها، والقسم بغير الله شرك «لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إليَّ من أن أحلف بغيره صادقًا»(١) هذا قول ابن مسعود رضي الله عنه، فحلفه كذبًا بالله معصية وحلفه بغيره شرك، وشتان ما بينهما!!

قال عليه الصلاة والسلام: «**الشرك فيكم أخفىٰ من دبيب النمل**».

فقال أبو بكر: وهل الشرك إلا ما عبد من دون الله أو ما دعي مع الله؟

قال الرسول ﷺ: ثكلتك أمك، الشرك فيكم أخفىٰ من دبيب النمل»(٢).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم (٧١٦)، وصححه الألباني في تحقيقه للأدب المفرد.

هذا هو التوحيد ما أيسر إدراكه وما أعظم شأنه، وذلكم هو الشرك، فهل توحيد الصوفية هو التوحيد الإسلامي؟

كلا. ذلك جوابي أهتف به عاليًا لا أقصد به غير وجه الله. ولا أخشىٰ فيه أحدًا غير الله.

كلمة خاتمة:

أشعر أني قد أطلت علىٰ القراء، ولكني أعتذر بأن الصوفية هم السوس الذي ينخر في عظام الأمم الإسلامية من عهد نوح إلىٰ الآن، فإظهارهم علىٰ حقيقتهم واجب، وهتك القناع عن مخبرهم فرض لازم حتىٰ لا ينخدع بهم البسطاء ولا يغتر بوثنياتهم الأغرار.

نضرع إلىٰ الله أن يميتنا موحدين مخلصين له الدين، وأقول مقتديًا برسول الله: «**اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا علىٰ عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**»(١).

* * *

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الدعوات، برقم: (٦٣٠٦)، من حديث شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.